

عدد خاص

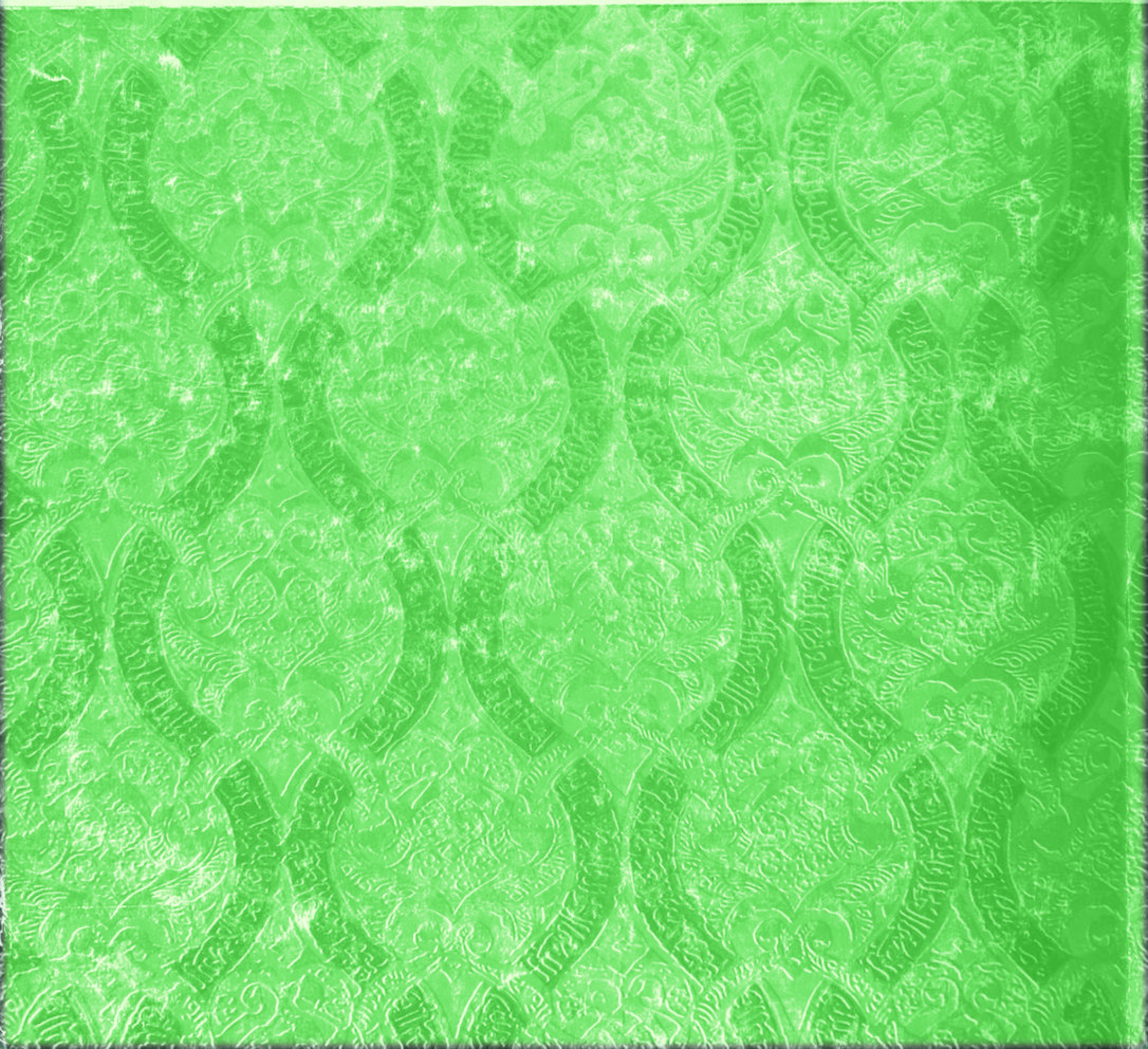
حلقة حماية المخطوطات العربية وتيسير الانتفاع بها

بغداد ٨ - ١٧/١١/١٩٧٥

المود

عدد خاص

مجلة تراشيعة فصلية . تصدرها وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية - المجلد الخامس



بغداد

في سنة ١٥٧٣

كما يصفها الرحالة الهولندي الدكتور ليونهارت راوولف

ترجمة وتقديم وتعليق

سليم طه التكريتي

اي بعد عودته الى هولندا بست سنوات . وفي سنة ١٦٩٢ م
القدم المستر « نيكولاس ستافورست » ، ولحساب الجمعية
الملكية في لندن ، على ترجمة تلك الرحلة الى اللغسة
الانكليزية ، حيث صدرت تلك السنة مع ترجمة رحلات اخرى
في مجلد واحد تحت عنوان « مجموعة من الرحلات والاسفار
المجبية » وكان المترجم قد عثر على النسخة الاصلية للرحلة
في مكتبة « ارونديان » بكلية غريشام .

وكنتم قد سمعت برحلة راوولف هذه منذ عدة سنين حين
قرأت نتفا منها في بعض كتب الرحالين الاجانب ، وعلى
الاخص جيمس بكنفهام الذي ترجمت رحلته الى المصراق
واصدرتها في جزئين كبيرين سنتي ١٦٦٨ و ١٦٧٠ .

ورحت منذ ذلك الوقت ابحت عن ترجمة انكليزية او
فرنسية لهذه الرحلة لكنني لم افز بطائل .

وفي احد الايام وانا في مكتبة جامعة الحكمة قبل
تعميقها ، كنت اتصفح عناوين بعض الكتب الانكليزية في
مجموعة المؤرخ يعقوب سركيس التي باعها الى تلك الجامعة ،
والتي انتقلت فيما بعد الى مكتبة الانوار العامة ، لفت نظري
عنوان كتاب يسمى « مجموعة من الرحلات والاسفار المجبية »
فطلبت من امين المكتبة انهاء الزميل عبد الفتاح جليمران ،
وكم كان سروري بالفا اذا وجدت الترجمة الانكليزية لرحلة
راوولف بتمامها في ذلك الكتاب حيث عكفت من حينه على
ترجمتها ووضعت الشروح والتوضيحات والتعليقات عليها ، ثم
قدمتها الى المطبعة حيث يجري طبعا الان .

والذي لاحظته ان الدكتور راوولف وهو طبيب وصاحب
دواء للقلب عرف باسمه لم يكن - بالنظر الى تخصصه في
الطب واهتمامه الاول بالبحث عن الامشاج - يهتم
كثيرا باستقصاء الحقائق والوقائع ، او تمحيص ما كان
يسمعه من القوال ، كما انه لم يكن يعتمد على ما سبقه من
الرحالين او قدامى المؤرخين الا نادرا ، ولذلك كان المصدر
الاول للمعلومات التي ادرجها في رحلته هو ما كان يحدته به
رفاق السفر او ما كان يتلقاه من اجوبة على الاسئلة التي
كان يطرحها على عابري السبيل رغم ان الكثير من تلك الاجوبة
كان مغلوفا .

مقدمة

يعتبر الدكتور ليونهارت راوولف من القدم الرحالين
الاوربيين الذين وفدوا على العراق في القرن السادس عشر
الميلادي . والذا ما استيعبنا الرحالة اليهودي بنيامين
التطيلي الذي قام برحلته في الفترة ما بين ١١٦٥-١١٧٢ ،
يكون الدكتور راوولف من اوائل الرحالين الاوربيين الذين
زادوا العراق .

ولد رووالف في مدينة اوفسبرغ الهولندية ، ونشأ بها
وتخرج في جامعتها في علوم النبات . وحينما علم - وهو في
الجامعة - بما تخر به بلاد الشرق والعربية بوجه خاص
من نباتات مختلفة ، استببت به الرغبة الجامعة في السفر
الى سوريا والجزيرة العربية . وقد نهيت له الفرصة
لتحقيق امنيته تلك حين عرض عليه احد اقربائه ، وهو
صاحب شركة لانتاج العقاقير - ان يرحل الى الشرق بعثا من
النباتات والمواد اللازمة لتجارته على ان تتحمل الشركة كل
نفقات تلك الرحلة .

وعلى اثر هذا الانطلاق بدا روولف رحلته من اوفسبرغ
في اليوم الثامن عشر من شهر ايار سنة ١٥٧٢ م ، فاتجه
برا نحو مارسييا ، ومنها استقل احدى السفن التي هبطت
به جزيرة قبرص في الخامس والعشرين من ايلول تلك السنة ،
ومن هناك انتقل الى طرابلس الشام فوصلها بعد خمسة ايام
ثم قادها في طريقه الى دمشق .

ومن نقطة « بر » على نهر الفرات في سوريا استقل
راوولف مع جملة من المسافرين واصحاب البضائع « شختورا »
في نهر الفرات حتى وصل الفلوجة التي ظن انها هي مدينة
بابل وراح يصفها حسب ظنه هذا ، ومن الفلوجة استكرى
دابة مع احدى القوافل الى بغداد فوصلها في السابع والعشرين
من شهر تشرين الاول سنة ١٥٧٢ م ، ونزل في دار احسد
التجار من حلب فمكث عنده اربعة ايام .

•••

نشر راوولف ذكرياته عن رحلته تلك في سنة ١٥٨١ م

وصف بغداد

وقد اورد راوولف في رحلته فصلا خاصا من بغداد ذكر فيه العناوين التالية

- مدينة بغداد الشهيرة التي تدعى بالداد (١) موهبا ، نباتاتها الغريبة ، مواصلاتها المظيعة ، تجار مختلف الامم الذين يعيشون فيها ، واشياء اخرى شاهدها وعرفتها بعد مفادتي لها .

تقع مدينة بغداد العائدة الى الامبراطور التركي عند الطرف الثاني جدا من مملكته على ضفاف نهر دجلة سريع الجريان في سهل واسع ، وهي اشبه بمدينة « بازل » على نهر « الرين » ، لكنها ليست جيدة البناء ، لان شوارعها ضيقة ، وكثير من منازلها زري البناء ، يقتصر البعض منها على الطابق الاول حسب ، بينما تحولت منازل اخرى غيرها الى خراب .

ومثل هذا ينطبق ايضا على المساجد التي كانت لقدمها تبدو سوداء (٢) ، وقد تهدمت بحيث يصعب عليك ان ترى واحدا منها سالما ، في حين لا يزال هناك عدد من الكتابات العربية القديمة او الكلدانية محفورة على الجدران (٣) . وكذلك توجد في المدينة اثار كثيرة واضحة لكنني لم استطع ليس قراءتها فحسب ، بل لم اجد من يستطيع ان يترجمها لي .

هناك بنايات تستحق المشاهدة من امثال مقر الباشا التركي ، وسوق البضائع الذي يقع خلف النهر في المدينة الاخرى (٤) ، والحمامات التي لا يمكن مقارنتها بحمامات حلب وطرابلس ، لان ارضياتها وجدرانها مطلية بالقار الامر الذي جعلها تبدو سوداء معتمة حتى في وضوح النهار ، لانها لاتصيب سوى الشيء القليل من النور .

هناك مدينتان احدهما تقع في هذا

الجانب (٥) وهي مفتوحة تماما بحيث يستطيع المرء ان يدخل اليها ويخرج منها ليلا من دون اية مضايقة ، غير ان هذه المدينة تعتبر في الواقع قرية كبيرة اكثر منها مدينة .

اما المدينة الاخرى فتقع على الطريق الذي يمر الى فارس عند تخوم مملكة آشور (٦) وهي محصنة تحصينا جيدا بالاسوار والخنادق ولاسيما على امتداد نهر دجلة حيث تقوم بعض الابراج ، ومنها برجان يقومان عند الابواب التي تؤدي الى جهة النهر ، لحمايتها . وبين هذين البرجين تقع اسوار المدينة القديمة العالية . وفي اعالي هذه الابراج حفرت كتابات مسطحة بحروف ذهبية يبلغ طول الحرف الواحد منها قدما . ولقد حاولت جاهدا معرفة معاني هذه الكتابات لكنني لم اظفر بذلك لمعزي عن فهمها ، ولانعدام المترجمين مما اضطرني الى التخلي عنها .

وعلى مقربة من هذه الابراج يقوم جسر مصنوع من الزوارق يمتد فوق دجلة ليصل الى المدينة الاخرى .

والنهر في ذلك الموقع عريض يشبه نهر الرين عند مدينة ستراسبورغ (٧) وبسبب سرعة جريانه يبدو لون النهر داكنا قليلا يبعث منظره الكآبة في النفس وقد يجعل المرء يحس بالدوار .

وعلى مسافة غير بعيدة في اسفل المدينة ، يلتقي هذا النهر بنهر الفرات ولذلك يجريان مختلطين في الخليج ابتداء من مدينة البصرة التي لم تكن تبعد اكثر من مسيرة ستة ايام من هناك (٨) الى جهة الشرق .

وهاتان المدينتان اللتان تقعان على نهـر دجلة كانتا قد شيـدتا قبل سنين عديدة من انقاص

(٥) يقصد به جانب الكرخ الذي هبط اليه الرحالة فلاندا من الفلوجة الى بغداد .

(٦) كثيرا ما يبعد قدامى المؤرخين من الادبيين الى ذكر مملكة آشور عند الحديث عن العراق على اعتبار ان بابل واشور معروفان بتاريخهما القديم الزاهر وعلى اسس ان حدود مملكة آشور كانت تصل الى الموقع الذي وجدت بغداد فيه حيث تبدأ عندها او الى الجنوب منها قليلا ، حدود مملكة بابل .

(٧) ستراسبورغ من اكبر مدن الازراس تقع على ملتقى نهر ايل بالراين اشتهرت بجوامعها التي انشئت سنة ١٥٢٨م ويظهر غوتنبرغ مخترع الطباعة فيها .

(٨) لم يكن راوولف يعرف موقع البصرة ولذلك تصور انها تقع على الشرق من اخلاط دجلة بالفرات وقد سماها « بلصرا » وعرفت باسم بصورة .

(١) اطلق راوولف على بغداد اسم بغدت Bagdet اما اسم بالداد Badac الذي اورده في عنوان هذا الفصل من الرحلة ، فان اول من اطلقه على بغداد هو الرحالة البندقي ماركو بولو وعنه اخذه كثير من الكتاب الغربيين .

(٢) اطلق راوولف على المساجد اسم الكنائس وذلك خطأ كبير لانه لم يسمح للوثائق المسيحية ببناء كنائس في بغداد الا في عهد الاحتلال الصليبي لها على يد الشاه مبلى سنة ١٥٢٠ م .

(٣) الظاهر ان هذه الكتابات على المساجد وغيرها كانت بالخط الكوفي ولذلك ظن الرحالة انها كلدانية .

(٤) يقصد بالمدينة الاخرى جانب الرصافة وهو القسم الشرقي من بغداد .

انها ليست كاملة البناء من الداخل ، ترى امامها بعض قطع من المدافع الكبيرة ملقاة في الطريق وقد علاها الصدا (١٦) .

وفي هذه القلعة يسكن الباشا التركي (١٧) والذي ما ان علم بمقدم اثنين من الغرباء الى منطقته حتى بعث يطلب حضورنا اليه ، فاحضرنا رجاله امامه ، وكان معنا احد الارمن ممن عرفناه قبلا في مدينة حلب ، كي يساعدنا في هذه القابلة ويكون بمثابة ترجمان لنا ويعطي الباشا معلومات طيبة ووافية عنا .

حين دخلنا غرفة الباشا ، وهي اعتيادية جدا وان كانت قد فرشت بالسجاد الفاخر ، وزينت ببعض الزخارف ، ادبنا له التجلة والاحترام ، ووجدناه يجلس ملتفا بعباءته الطويلة الصفراء التمنية . وعن طريق احد اتباعه ، الذي كان يتحدث بالفرنسية وان لم يكن يفهمها جيدا ، سألنا عن الاماكن التي اقبلنا منها ، والبضاعة التي جلبناها معنا ، والجهة التي تقصدها . وبعد ان اجبناه عن كل سؤال طرحه علينا لم يقنع باجوبتنا ، وامرنا بأن ننسحب الى وراء ، وان نمكث الى ان نسمع قراره بشأننا .

لقد فهمنا ما كان يقصده من وراء ذلك تماما . فهو يريد ان يحصل منا على شيء من الهدايا ، لكننا تظاهرنّا بأننا لم نفهم قصده ، وانما اربناه جوازات سفرنا موقعة من لدن باشا مدينة حلب وقاضيها . ولقد تناولها منا وراح يقرؤها ويتمعن النظر جليا في ختمي الباشا والقاضي اللذين اعتادا ان يضمسا الختم بالحبر فاصبح الجواز ملطخا بالسواد نتيجة ذلك .

وحين وجد الختمين صحيحين ولم يبق لديه ما يقوله ، سمح لنا بالانصراف ، واذ ذاك قدمنا له الاحترام ثانية فخطونا خطوات الى وراء وغادرنا مسكنه ، ذلك لانك لو ادرت ظهرك لاي شخص تقابله ، حتى وان كان ضعيفا ، لعد ذلك اهانة كبيرة له ، وقلة ادب وغلظة منك .

ويحتفظ هذا الباشا بحامية كبيرة في بغداد

(١٦) هذه القلعة هي احد الابراج القديمة في سور بغداد وكانت تقع في الزاوية القريبة من الرصافة ولي الواقع الذي تقوم فيه وزارة الدفاع حاليا وعرفت لدى الاتراك باسم « ايج قلعة » اي القلعة الداخلية .

(١٧) هذا الباشا هو علي الدرويش من ولاية الاتراك المشهورين حكم في البصرة ثم نقل منها الى بغداد .

مدينة بابل المتهمة (٩) ذلك لان واحدة منها ، وهي التي تقوم على الجانب الآخر من النهر ، قد عرف عنها انها مدينة سلوقية البابلية (١٠) .

كما يمتد على هذا الجانب من النهر واد فسيح يعتقد بان مدينة طيسفون تقع فيه . وقد اكد « سترابو » (١١) ذلك في الجزء الخامس عشر من كتابه عندما اشار اليها بقوله « ان بابل كانت عاصمة اشور قبلا (١٢) وبعد خرابها فامت مدينة سلوقية على نهر دجلة حيث تقوم على مقربة منها قرية كبيرة كان ملك الفريثيين قد اتخذها مقرا شتويا له » (١٣)

كذلك اشار بلييني (١٤) في الفصلين السادس عشر والسابع عشر من الجزء السادس من مؤلفه الى ان مدينة سلوقية وطيسفون قد شيدها خارج خرائب مدينة قديمة ، وان نهر دجلة يمر بينهما .

وتقوم في سلوقية (١٥) وفي مكان واسع منها ، قلعة ليست محصنة لا بالاسوار ولا بالخنادق ، كما

(٩) لم يثبت تاريخيا ان مدينة بغداد قد شيعت بانقاض مدينة بابل لكن الشيء المؤكد ان كثيرا من اجر بابل المكتوب بعد استعمال في بناء كثير من الابنية في بغداد ومنها البناء الذي مثر عليه مؤخرا على ضفة دجلة القريبة في منطقة خضر الياسي بالكرخ وبالمواقع التي يجري العمل في بناء الجسر الجديد الآن .

(١٠) سلوقية اخطا الرحالة في تحديد موقعها فهي في الواقع على الضفة اليمنى من نهر دجلة جنوبي بغداد في الواقع المعروف باسم « تل عمر » انشأها سلوقس المنتصر قائد الاسكندر الكبير وسماها باسمه وعرفت بالبابلية تمييزا لها عن مدينة بلذات الاسم بناها سلوقس نفسه على مقربة من الاسكندرية في سوريا .

(١١) سترابو مؤرخ وجغرافي يوناني معروف ولد سنة ٦٢ ق.م. وتوفي سنة ٢١ م درس في اسيا الصغرى واليونان وروما ومصر . وضمن مشاهداته عن بلدان اسيا وافريقيا في كتاب يقع في سبعة عشر مجلدا .

(١٢) واضح ان قول سترابو هذا ينطوي على خطأ فاصح لان نينوى وليست بابل هي عاصمة اشور .

(١٣) هذه القرية هي التي عرفت باسم « بهر سير » وتقع بجوار سلوقية انشأها احد ملوك الفريثيين من السلالة التي حكمت ايران وجزءا من العراق في الفترة ما بين ٢٢٤٧ ق.م وسنة ٢٢٦ م .

(١٤) بلييني (بليتيوس) وهو المعروف بالصغير (٢٢-٣٧٩) مؤرخ وسياسي ومحارب روماني شهير وعالم بالنبات اشتترك في عدة حملات عسكرية في اوروبا . مات مع مسن ماتوا في مدينة بومبي الى دفنها بركان فيزوف في شهر اب سنة ٧٩ م اشتهر بكتابه عن التاريخ الطبيعي الذي يقع في اثنين وعشرين جزءا .

(١٥) ما يزال راوولف يتصور ان الجانب الشرقي من بغداد هو مدينة سلوقية .

لأنها تقع عند تخوم « سوسيانه » (١٨) وماذي (١٩) وغيرها من الولايات التي تعود إلى ملك فارس ، في حين لا يمتد نفوذ « السيد الأعظم » (٢٠) إلى الشرق من هذه الولايات ، إذ أن أكبر ممالكه تتألف من الصحراء العربية المقفرة التي لا يسيطر الا تراك على جزء منها ، بينما يخضع الجزء الأكبر لنفوذ أحد الأمراء العرب .

بعد أن أذن لنا الباشا بالانصراف عدنا إلى النزول ثانية ، فابتعنا - حين مررنا بأحد الأسواق - بعض الأطعمة لتناولها ولكي نعد وجبة العشاء ، ذلك لأنه لا توجد في هذه البلاد فنادق يستطيع المرء أن يأوي إليها ، وأن يجد فيها الطعام مهيناً للزبائن الذين يغدون مصادفة ، بل أن على المرء أن يذهب إلى حانات الطباخ الذي يتوفر عدد من أمثاله في الأسواق .

وما عدا ذلك فكل امرئ يطبخ لنفسه ما يريد من طعام دون أن تكون هنالك أبواب أمام غرفته ، وإنما توجد مدخنة لهذا الغرض . ولذلك حين يأزف وقت إعداد الطعام في المساء والصباح ، تشاهد في أروقة المكان عدة نيران تم إيقادها فيه .

وحين شرعنا تناول الطعام اضطررنا ، بسبب عدم وجود موائد أو كراسي أو مقاعد ، إلى الجلوس على الأرض التي ننام عليها ليلاً ، ولذلك لم تعد عباءاتنا نافعة لنا ، لأننا كنا نستعملها بدلاً من الفراش ولاسيما في أيام الشتاء لكي نستدفئ بها . ومع ذلك فلم يكن الشتاء شديد البرد في هذه البلاد وقد نستنتج من هذا أن الأزهار المعروفة في بلادنا من أمثال « النرجس » و « البصل البصري » و « البنفسج » وغيرها تكون مزدهرة تماماً في شهر كانون الأول ، كما أن أقبال الزراع على حراثة الأرض في مثل هذا الوقت جعلني أحكم بأن شتاءهم يشبه ربيعنا .

لست أثناء وجودنا في بغداد وتجوالنا فيها أن الفاقة لا زالت جد ظاهرة فيها ، وإنما قد تتعاضد وتزداد إذا لم تسارع المدن القائمة على دجلة والفرات - ولاسيما مدينة الموصل التي كانت تعرف قبلاً باسم نينوى - إلى إرسال كميات كبيرة

من المؤن مثلما تفعل ذلك ديار بكر وغيرها التي ترد منها المؤن مصادفة ، ذلك لأن معظم أراضيها تقع ما بين النهرين ، ولهذا السبب لا تحصل على شيء من تلك التجهيزات ، ولأن ما ينمو فيها لا يكفي لسد حاجتها ، ومن هذا تتجلى أهمية هذين النهرين بالنسبة إلى بغداد ، لأنهما لا يزودانها بالمؤن كالقمح والشعير والشراب والفاكهة وغيرها حسب ، بل بجلبان لها الكثير من السلع التي تحملها إليها سفن كثيرة ترد كل يوم . ولذلك نرى في هذه المدينة مستودعات كبيرة للسلع ، نتيجة لموقعها الملائم ، يتم جلبها بطريق البر والبحر من أنحاء الدنيا العديدة ، ولاسيما الأناضول وسوريا وأرمينيا واسطنبول وحلب ودمشق وغيرها كما يتم نقل هذه السلع ثانية إلى الهند وفارس وغيرهما .

وقد حدث في اليوم الثاني من كانون الثاني سنة ١٥٧٤م حين كنت في بغداد ، أن وصلت إليها خمس وعشرون سفينة موصقة بالأفانيه والعقاقير من الهند ، بطريق « هرمز » والبصرة التي تعود إلى سلطان الاتراك وتقع عند الحدود ، وهي أبرد نقطة يمتد إليها نفوذ السلطان في الجنوب الشرقي وعلى بعد مسيرة ستة أيام من هنا ومن البصرة تنقل السلع في سفن صغيرة تجلبها إلى بغداد حيث تستغرق السفرة حوالي أربعين يوماً .

وهذا الطريق البحري والبري يعود إلى ملكي العربية وفارس ولكل منهما مدنه وحصونه على حدود بلاده ويستطيعان سد هذا الطريق . ورغم ذلك فإنهما يتراسلان بانتظام ويستخدمان الحمام الزاجل ولاسيما في البصرة حين تتطلب الضرورة إرسال هذا الحمام برسائل إلى بغداد .

وحين تصل السفن الموصقة بالسلع إلى بغداد يهيئ التجار ، وعلى الأخص تجار الأفانيه الذين ينقلونها عبر الصحراء إلى تركيا ، أماكن خاصة لهم في البساتين على مقربة من مدينة طيسفون (٢١) حيث يقيم كل واحد منهم في خيمته ليضع الأفانيه في أكياس حفاظاً عليها إلى أن يتحركوا كلهم سوية في شكل قافلة ، ولذلك يخيل

(٢١) طيسفون Ctesiphon هو الاسم الذي أطلقه اليونانيون على « المدائن » التي أنشئت في العراق في القرن الرابع للميلاد وفيها أبوان كسرى الشهير الذي لا زالت أطلاله قائمة وتعرف طيسفون الآن باسم « سلمان باك » نسبة إلى سلمان الفارسي حلاق الرسول محمد (ص) الذي دفن فيها .

(١٨) سوسيانه هو إقليم الأحواز أو ما سمي بخرستان والذي سلخ عن العراق في أوائل القرن الحالي .

(١٩) ملاي هي ميديا القديمة التي تقع في الشمال من إيران .
(٢٠) السيد الأعظم Grand Sinior لقب أطلقه الفرييون على السلطان العثماني . وكان هذا السلطان هو مراد الثالث الذي حكم في الفترة ١٥٧٤-١٥٧٩م .

الخيول ، ذلك لان الذين يستوردون الخيول ، كما انبثت ، يدفعون نصف الرسوم عن سلمهم الاخرى الى دائرة الكمارك ومن ثم يبيعونها بآرباح طيبة . وبعض هذه الخيول تصدر ، بسبب جمالها واصالتها ، الى سوريا والاناضول ، والى بلادنا في اوربا حيث تباع او تهدي الى الامراء وغيرهم من الشخصيات البارزة .

وتطعم الخيول في هذه البلدان ، الشمير والكلا ، فيوضع هذا العلف في اكياس تعلق فسي عنق الحيوان ، ومثل هذا يجري ايضا بالنسبة الى الحمير ، على تقيض ما نفعله نحن في بلادنا الاوربية .

ونظرا لثقله الشعر والحشائش فانهم يفرشون لهذه الخيول في بعض الاحيان ، قطعة من الارض بالقش ، ثم يجمعونه في اكوام لتنظيفه واستعماله مرة اخرى .

حين يصل بعض التجار المسيحيين من بلادنا الى هرمز - وهذا لا يقع الا نادرا - فلا بد لهم من الحصول على مساعدة من الاتراك والعرب ، ولابد من ظهورهم امام موظفي ملك البرتغال الذين يعينهم ميقدموهم لهم شكواهم عما حدث لهم ، والضرر الذي اصابهم . واذا ما حدث ان اخفى هؤلاء من ذلك شيئا حل العقاب بهم انفسهم .

واذا ما ظهر ان واحدا منهم قد غش تقوده فان رفاقه من التجار من ذات الملة يلتق بهم في السجن ولو انهم كانوا غير مدنيين ولا يعرفون عن عملية الفش شيئا . واذا قتل احد المسيحيين بينهم يقتل ثلاثة او اربعة منهم مقابل ذلك (٢١) طبقا لاسلوب المتبع ويقعدوا حياتهم مقابل كل مسيحي يقتل . وعلى هذا فحين يجتمع تجار من امم مختلفة في احدى البواخر للسفر الى الهند عن طريق « هرمز » - والتي يجب ان يهبطوا اليها والا صودرت بضاعتهم - فانهم يصعدون الى الباخرة وكانهم غرباء تماما ، ويحذر الواحد منهم الآخر ، ولا يتحدثون الا قليلا ، وقد لا يتحدثون بشيء ، ولا يكشف احدهم هويته للآخر ، وهكذا يتحمل كل واحد منهم العزلة الى ان يقطعوا منتصف الطريق ثم يشرعون بالتعارف فيما بينهم .

(٢٦) قد يبدو هذا غريبا او هو من صنع الخيال ولكن الحقيقة هي ان الاسلوب الذي سار عليه البرتغاليون في حكم المناطق التي احتلوها ، خلال القرن السادس عشر ، في الهند وفي الخليج العربي قد اتسم بالقتل الجماعي لغير المسيحيين .

لن يراهم من بعيد انهم جنود ، وليسوا تجارا ، وان ما يشاهده سلاحا وليس بضاعة تعود للتجار . ولقد توهمتهم انا على هذه الشاكلة قبل ان اقترب منهم واتبينهم جيدا .

وبعض اولئك التجار الذين جاؤا مع تلك السفن قد اقبلوا على النزول الذي كنا ننزل فيه مباشرة ، وكان من بينهم تاجر مجوهرات جلب معه عدة احجار كريمة مثل الماس والعقيق الابيض والذي يصنعون منه مقايض ثمينة للخناجر ، وكذلك الياقوت الاحمر ، والعقيق الاصفر وغيرها وقد حصل على النوعين الاولين من بمباي (٢٢) اما البقية فقد جلبها من جزيرة سيلان (٢٣) حيث ارانا عدة انواع جميلة منها . ويحمل التجار هذه المجوهرات معهم في قوافل كبيرة ويحفظون بها بشكل خاص حتى لا يمكن العثور عليها من قبل دوائر الكمارك كيلا تصدر منهم ، وذلك ما يسمى اليه الباشا بكل ماله من قوة وسلطان فالاتراك لا يجوبون الاحجار الكريمة لانها تكلفهم اموالا فهم جشعون بصفة غير اعتيادية حيث لا تجد الا قلة منهم يقتنونها ، لكنهم ان استطاعوا الحصول عليها بلا ثمن بطريقة المصادرة فانهم يجوبونها جبا جبا ويحافظون عليها بحرص شديد .

ويحتفظ هؤلاء التجار في بيوتهم بمجوهرات اخرى يبعثون بها ثانية الى الهند كالمزجان والزمرد اللذين يكثر الاقبال على شرائهما في مصر ، وكذلك الزعفران والتوت والكرز ، وعدة انواع من الفاكة كالزبيب والتمور ، والتين واللوز وغيرها .

ولكن فوق هذا كله يصدرون الخيول الجميلة فيرسلون عددا وفيرا منها الى الهند عن طريق فارس ولكن معظمها يرسل بطريق هرمز (٢٤) حيث يتلقى ملك البرتغال كل سنة مبلغا طيبا من المال بصفة رسوم تبلغ اربعين دوقا (٢٥) لكل رأس من

(٢٢) سماها الرحالة باسم كومباي Comby وهو خطأ فاصح اما عند النقل او السماع .

(٢٣) ذكرها الرحالة باسم تسليون Zylon وهو الاسم المستعمل لدى الانان عادة وقد اطلق العرب على سيلان اسم « سرنديب » .

(٢٤) هي جزيرة هرمز Ormutz في الخليج العربي وكانت في عهد الرحالة راوولف خانضة للبرتغاليين الذين احتلوها سنة ١٥٢١م ومكثوا فيها قرنا كاملا الى ان طردهم الانكليز بمساعدة العرب والفارس سنة ١٦٢٢ م (انظر كتابنا : الصراع على الخليج العربي طبعة ١٩٦٦) (٢٥) الدولة عملة فينيسية قديمة تعادل الواحدة منها ستة شلنات انكليزية او ما يعادل لثلاثة فلس قبل خفض قيمة الباون الانكليزي .

ولقد علمت أيضا ان حاكم البرتغال في الهند كان يستخدم - لغرض اظهار القوة والقدرة على الحرب - عددا من الامراء الهنود الاقوياء الذين يؤلفون قوة تعددها خمسة الاف رجل .

كما انه ارسل بعض « اليسوعيين » (٢٧) الى تلك البلاد لينشروا ديانتهم بين سكانها ولينشئوا فيها محاكم التفتيش الاسبانية (٢٨) .

يحب التجار التعامل مع الهنود لصدقهم في التجارة واهتمامهم بها . ولقد عرفت في بغداد عددا كبيرا من اولئك الهنود وغيرهم من الاقوام الاخرى كالعرب والأتراك والارمن والاكراذ والمأذيين وغيرهم ، ولكل منهم لغته الخاصة ، غير ان اللغة الرئيسة بينهم تتألف من الفرس (٢٩) .

حين كنت في بغداد وصلت قافلة من الفرس تتألف من ثلثمائة رجل مع ابلهم وخيولهم وهم يقصدون مكة لزيارة قبر « محمد » (٣٠) - الذي يعتبرونه رجلا معظما جدا عندهم ، بالاضافة الى رفيقه « علي » و « عمر » اللذين كانا يسكنان تلك المدينة

ولهؤلاء الفرس لغتهم الخاصة التي تختلف تماما عن التركية والعربية . فهي غير مفهومة من قبل الامم الشرقية الاخرى ، ولذلك يضطر هؤلاء الى التفاهم مع الفرس بطريق الإشارة او بوساطة المترجمين .

والفرس صفاتهم المميزة لهم ايضا . فهم يحسنون ركوب الخيل ، ويرتدون سراويل طويلة فضفاضة تساعدهم على الحركة ، ويحسنون تجهيز انفسهم بالبنادق والقسي والنبال .

(٢٧) اليسوعيون او الجزويت Jesuites (جماعة من المسيحيين اسسها مفامر اسباني يدعى « لويولا » سنة ١٥٢٤م لمناصرة الكاثوليكية وقد اعترف بها البابا سنة ١٥٤٢م وراحت تنظم صفوفها عسكريا منذ ذلك الوقت .

(٢٨) هي المحاكم التي اقامها الاسبان المسيحيون في اسبانيا لحاكم العرب والمسلمين بعد سقوط اخر مملكة اسلامية هناك . وقد قست هذه المحاكم على مئات الالوف من المسلمين حرقا . وحتى الذين عادوا منهم الى النصرانية لم ينجوا من جرائم هذه المحاكم البشعة التي استأصلت كل العرب والمسلمين في جزيرة ايبيريا قاطبة .

(٢٩) لاجود للمأذيين بين الاقوام التي ذكرها الرحالة راوولف ذلك لان هؤلاء قد انصهروا ، مثل الاشوريين والبابليين ، بالاقوام الاخرى فلفقوا كيانهم العربي وحتى اللغوي ايضا .

(٣٠) يتضح من هذا ان المؤلف لم يكن يعرف ان منوى الرسول الاعظم محمد صلوات الله عليه هو في المدينة المنورة وليس في مكة المكرمة .

وبدلا من استعمال المهماز ، يستعملون - كما هو شائع في هذه البلاد قطعة حديد مدببة يبلغ طولها بوصة ونصف البوصة يثبتونها في الجزء الخلفي من احذيتهم .

ويطلق على الفرس اسم « الاتراك الحمر » وهذا ناشيء - كما اعتقد - عن وضعهم علامة حمراء في عمامتهم اشبه باشرطة قطنية مصبوغة بلون احمر تميزها لهم عن الاقوام الاخرى . كذلك يمكن تمييزهم بصداريهم الصوفية غبرا ءاللون ، ذات الضفائر التدلية على الظهر حتى الركبة . وهم من الشعوب الشجاعا ، وتقاطيع وجوههم لطيفة ، وهم مؤدبون في معاملاتهم مع الغير ، شديدو المساومة ، ولذلك تراهم - قبل ان يعقدوا اية صفقة - ينفقون الوقت الطويل قبل التوصل الى اتفاق ، وهذا ما شهدته انا بنفسى عدة مرات .

ومن بين السلع الاخرى التي يتاجر بها الفرس ، السجاد الفاخر من انواع عديدة ، وغيره من المنسوجات القطنية التي يتفننون في صنعها تفننا كبيرا ويحذقونها حذقا واسعا .

اما بالنسبة الى المصنوعات الاخرى كالذهب والفضة فانهم لا يعرفون عنها سوى الشيء القليل فهم اقل الماما بصياغة الذهب ، وهم يحبون المهرة من الصناعات المسيحية في شتى الصناعات ويعاملونهم بكل ادب .

ولا يجيز الاتراك لنسائهم دخول المساجد ، والظهور فيها علانية مثلما يفعل الفرس ذلك (٣١)

ولقد نشبت بين الامتين التركية والفارسية حروب كبيرة وخصومات شديدة ، ومع ذلك فان ايا منهما لاتهاجم الاخرى في اوقات السلم ، ولاتغير على حدودها ، مثلما يفعل الاتراك ذلك في « هنغاريا » (٣٢) .

وبعد ان اجريت المفاوضات بين الاتراك والفرس ، وحقت ايرادا كبيرا للسلطان ، اصبح في استطاع الاتراك ان يتاجروا داخل الاراضي الفارسية ، وان يتجولوا فيها بأمان .

كذلك علمت انه يعيش هنا وفي فارس عدد من المسيحيين من بينهم اتباع يوحنا بريستر Prester John (٣٣) والطريق الذي وصل به

(٣١) احجم الاتراك عن السماح لنسائهم بالصلاة في المساجد بعد ان انتشرت عادة التسري بينهم على نطاق واسع .

(٣٢) كان الاتراك هم الذين نشروا الدين الاسلامي في اوربا الشرقية ومنها هنغاريا التي افتتحوها بعد استيلائهم على بلغاريا وعاصمتها صوفيا سنة ١٢٨٩م .

(٣٣) بريستر جون (يوحنا) Prester John هو

ويقراون بضع كلمات من تعاليم المسيح ثم يتناولون العشاء .

وهم لا يسمعون بالصور في كنائسهم ، لكنهم يستعملون القيثارات والمزامير حين يعزفون الموسيقى وهذا يحدث بصفة رئيسة في بلاط ملك سمرقند حيث يوجد احذق الموسيقيين هناك . ويقال ان سام بن نوح هو الذي بنى هذه المدينة ولذلك سميت باسمه .

ومما علمته عند عودتي ، ان طهماسب (٢٥) ملك فارس كان له ثلاثة اولاد وبنت واحدة وقد قطع رأس ولده الاكبر لانه كان يسمى السى الظفر بتاج ابيه ، وعند وفاة طهماسب تزوجت ابنته من احد رجال البلاط اما ولدها فباقيان على قيد الحياة وقد انتخب الاوسط ويدعى اسماعيل « (٢٦) خلفا لوالده في الوقت الذي وصل فيه الامبراطور التركي الحالي « مراد (٢٧) الى العرش .

وكان اسماعيل هذا ، وهو شاب ، كله شجاعة وذكاء في اساليب الحرب . وحين كبرت سنه تضاف حقه على الاتراك ، وبلغ ذلك درجة انه قرر ، حتى في حياة والده ، ان ينتقم منهم ، وعلى هذا الاساس توجه بعدد كبير من رجاله الى مناطق الحدود للاستيلاء على بغداد .

وحين كان بعد العدة لهذا الهجوم هرب بعض من قواته واعلموا باشا بغداد بما كان ذلك الشاب يتوهمه ويخطئه ، واذاك سارع الباشا الى التسليح على عجل لمقاومته .

وعندما اقدم ابن الملك على تنفيذ مخططاته اقتض عليه الباشا بعدد كبير من الرجال لا قبل له به ، وهكذا لم يهزم ابن ملك فارس وحسب بل وقع اسيرا واذاك هدده الباشا بانه سيقطع رأسه اذا لم يفكر ابوه جديا في الامر ويقدم على افتدائه باعادة مدينة « اوربى » (٢٨) .

(٢٥) اطلق الرحالة على طهماسب اسم غوماش Gamach وهو تعريف ظاهر ، وطهماسب هذا هو طهماسب الاول ثاني ملوك الصفويين الذي تولى الملك بعد وفاة ابيه اسماعيل الاول في سنة ١٥٧٤م (٩٢٠هـ) (٢٦) هو اسماعيل الثاني ثالث ملوك الصفويين الذي حكم في الفترة ما بين ١٥٧٦-١٥٧٨م (٢٧) مراد سمى الرحالة « امارثى » Amarathes ، وهو مراد الثالث الذي تولى الحكم في الفترة ما بين ١٥٧٤-١٥٩٥م .

(٢٨) هذه المدينة سماها الرحالة باسم اوربى Orbs ويطلب على اللسان ان المقصود بها مدينة « وان » التي استعادها سليمان القانون بعد استيلائه على بغداد سنة ١٥٢٤م

هؤلاء الى فارس يتلخص في ان ملك فارس توصل قبل انتهي عشرة سنة ، الى اتفاق مع « يوحنا بريستر ضد الاتراك . ولما وجد يوحنا ان من غير اللائح ان يتحالف مع ملك من غير دينه بعث برسالة الى ملك فارس يرفض فيها التحالف معه الا على شرط واحد هو ان يعتنق ملك فارس ورعاياه الدين الذي يعتنقه يوحنا . وقد وافق ملك فارس في النهاية على هذا الشرط واذاك بعث اليه يوحنا بواحد من بطارفته ومعه بعض القسيس لاداء تلك المهمة وتوجد الان في فارس اكثر من عشرين مدينة معظم سكانها يدينون بدين يوحنا وهم يحتفظون بكتبهم المقدسة ، واهم تلك الكتب يضم بعض رسائل القديس توماس (٢٤) .

وما عدا ذلك فان الطريق قد اوضح بان هؤلاء لم يعدوا يؤمنون بالخرافات ، وانهم يعتقدون بان الطهارة ليست ضرورية لان اعداءهم من الاتراك يتمسكون بها ، ولهذا السبب ذاب فهم لا يكرهون الحيوانات المحرمة ، وياكلون لحم الخنزير وبشربون الخمر ، وعلى هذا الاساس اخذت الديانة المسيحية تنتشر في فارس يوما بعد اخر اكثر فاكثر ، واخذ الفرس ، طبقا لتقاليدهم ، يتنصرون بالنار !

ويمكن تمييز هؤلاء المسيحيين عن غيرهم في انهم يرسمون صليبا ازرق اللون على الساق اليسرى فوق الركبة بقليل ، وهم يصنعون العشاء الرباني للكبار وللصغار معا ، لكنهم قبل ان يتناولوه يفسلون اقدامهم في قنوات من الماء تجري داخل الكنائس ومن ثم يجلسون مع رؤساء المدينة الذين يغدون عليهم واذاك يطبع كل واحد منهم على وجه الآخر قبلة الحب ،

اللقب الذي اطلقه الاوربيون على ملك الحبشة وكانوا يسمون عليه في نشر الديانة المسيحية في افريقيا قبل ان تبدأ غزوات الاستعمار الاوربي في القرن الرابع عشر للميلاد .

اما دخول المسيحية الى فارس فقد حدث لأول مرة في سنة ٢٥٨ م حين اخذ شابور بن اردشير ملك فارس ، بعد انتصاره على جيش الامبراطور الروماني فاليريان ، عددا من الاسرى الرومانيين واقام لهم مصكرا في بقعة من الارض بين سوسة وتستر عرف باسم جنديسابور حيث اعطيت الحرية لأولئك الاسرى للتبشير بالمسيحية في ايران .

(٢٤) القديس توماس St. Thomas احد رسل المسيح الاثني عشر لكنه لم يؤمن بقيام المسيح الا بعد ان راي الدجراواته ولمس اصبه فيها . والقديس توماس هو الذي ادخل المسيحية الى الهند .

حين كنت اسأل اكثر من شخص واحد عما اذا كان من الاوفق لنا ، انا ورفيقي ، ان نسافر بطريق النهر الى «هرمز» ام بطريق البر عبر بلاد فارس الى الهند ، لم تكن تفكر في شيء سوى ان نبدأ سفرتنا ونمضي قدما . وحين كنت افكر في ذلك وصلتنى فجأة رسالة استدعيت بها للعودة الى حلب ، الامر الذي زاد في قلقي كثيرا ولاسيما حين اعدت في ذاكرتي مرأي القفار والصحارى التي قطعتها الى ان بلغت المسند الشرقية التي تستحق المشاهدة فعلا .

وعلى هذا ، وبعد ان قلبت الامر مليا ، اتفقت مع رفيقي على ان يواصل هو رحلته ، بينما ينفي علي انا ، وبسبب الرسالة التي تلقيتها وليس لي عائق سواها ، ان اعود ثانية وقد زودته بكل ما يحتاج اليه من لوازم لواصله سفره ، حيث رحل فعلا بعد يومين مع تجار اخرين في احدى السفن الى البصرة .

ولم يطل الوقت حتى تلقيت نبأ مفجعا عنه ، فقد قيل ان السفينة التي استقلها من البصرة الى «هرمز» قد تحطمت بعد ان داهمتها عاصفة شديدة على مقربة من جزيرة «البحرين» (١٠) في الخليج العربي الذي يكثر فيه اللؤلؤ الشرقي ، وانه مع عدد من التجار بينهم جماعة من ابناء التجار الاغنياء في «حلب» قد ماتوا غرقا .

كان علي ان اعود الى حلب في قافلة كبيرة . ولما كانت مثل هذه القافلة ستأخذ طريقها عبر الصحراء الرملية الواسعة في مسيرة قد تستمر زهاء اربعين يوما او نحوها ، وحيث لا نستطيع خلالها ان نمر باكثر من نقطتي كمارك ننزود منهما باللوازم والماء وغيره من الضروريات الاخرى ، لهذا السبب استقر رأي على ان اسافر بطريق تمر باماكن مفيدة وبمدن شهيرة كيما ارى واتعلم

العثماني سليمان الاول المعروف باسم سليمان القانوني سنة ١٥٢٤ م .

اما باشا بغداد في الوقت الذي وصل فيه راوولف الى المدينة فهو اما ان يكون «علي باشا الدويش» او «الوند زادة علي باشا» الذي حكم ولاية بغداد في الفترة ما بين ١٥٧٤ و ١٥٨٦ .

(١٠) البحرين ذكرها الرحالة باسم بكاري Bacchari وقد وردت هذه التسمية لدى غيره من قدامى الرحالة وهي معروفة عن «البحرين» العربية . وحتى القرن الحادي عشر الميلادي كان الاسم الشائع للبحرين هو «تيلوس» و «تيلون» و «تلون» وهو الاسم الذي عرفت به في المدونات الاشورية والاغريقية .

وهكذا لم يكن امام الملك الا ان يعمل ما فيه الكفاية للحفاظ على سلامة ولده ، والتعهد بعدم الاقدام على اية استفزازات او حروب اخرى ضد الاتراك (٢٩) .

وقبل ان ابدأ رحلتي في اذار ١٥٧٤م وصلت الى حلب انباء تقول ان حوالي خمسة وعشرين الفا من الاتراك كانوا قد قتلوا في اطراف فارس والجزيرة العربية لكنني لم اعرف المكان السدي وقعت فيه هذه المعارك ، لان الاتراك يعمدون الى اخفاء ما يعانونه من اصابات بحيث لا يسمع بها احد بآية وسيلة . اما اذا كانوا هم المنتصرون فلا يظنون صامتين بل ينشرون انباء انتصارهم على نطاق واسع .

ولتقصر الحديث على بغداد فنقول انني وجدت فيها عددا كبيرا من المرضى والعرج ، وانك لاتدهش ان تجد مثل ذلك العدد الكبير من العرج الذين يتجولون في الشوارع . ومع كل ذلك فلم يستطع ملك فارس ان يربح الحرب في النهاية ، او ان يقدم على اثارة حرب جديدة ومن مسافة نائية ، لان موارده ليست كبيرة بالدرجة التي تمكنه من تعبئة اللوازم والمؤن وتمهيتها لجنوده وموظفيه ، كما انه لا يستطيع في وقت الحرب ان يدفع لهم مرتباتهم مثلما يفعل ذلك ايام السلم ، لان رعاياه معفونون من كل الرسوم والضرائب طبقا للامتيازات القديمة ، ولانهم لا يتسلحون للدفاع عن انفسهم الا حين يدعوهم الملك للذود عن بلادهم واملاكهم ضد هجوم يوجهه الاعساد نحوهم .

(٢٩) لم يرد ذكر لهذه الواقعة لدى المؤرخين الذين كتبوا من تلك الفترة من تاريخ العراق من امثال ياسين العمري صاحب كتاب «غاية الرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام» الذي طبع سنة ١٩٦٨ ، ولا في كتاب «بغداد دار السلام» للمؤرخ الانكليزي ريتشارد كوك والذي ترجمه الاستاذان مصطفى جواد وفؤاد جميل ونشراه في جزئين سنة ١٩٦٧-١٩٦٨ .

اما المستر ستيفن هسلي لونغريغ صاحب كتاب «اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» الذي ترجمه جعفر خياط وصدرت طبعته الرابعة في سنة ١٩٦٨ فقد قال عن هذه الاحداث التي ذكرها راوولف «وقد يشبه هذا الحادث ابي بعض لافل الحكومة بسبب اللر او الاكراد» .

ومهما يكن الامر فان لهذه الحادثة شيئا من الحقيقة لان الفرس ظفوا بتحسين الفرص للاغارة على العراق وعلى بغداد بالذات بعد ان طردهم منها السلطان

واطلع على امور اخرى . وعلى هذا الاساس مكثت في النزول الكبير مدة اطول الى ان التقى ببعض رفاق السفر .

وفي الوقت الذي مكثت فيه هناك تعرفت الى احد التجار من سكنة مدينة حلب ، كان قد رحل عدة مرات الى الهند ، وقد انباني بأن « اليسوعيين » شرعوا في اقامة محاكم التفتيش الصارمة في الهند ، ولاسيما في مدينة « غوا » (٤١) التي يعتبرونها ملائمة لهم ، وان الذين لا يخلعون قبعاتهم حين يعمرون بصور العذراء التي علقست في شوارع عديدة في المدينة يلقي بهم في غياهب السجون .

وقد استنكر ذلك التاجر هذا الامر بشدة ، كما تحدث عن المسيحية بشكل اعجبني ، ولذلك احببته ورغبت في السفر معه لانه كان يعاملني برقة وعناية وكانني ولده .

وعندما علم بانني طبيب رغب ان يقدمني الى الباشا وكان مريضا في وقت كان فيه طبيبه الغاص من اصدقائه الحميمين .

ولما كنت قبل هذا قد علمت بأن آخرين اقدموا على مثل هذا العمل لم يحازوا الا بالشعر ولاسيما من قبل الذين تقدموا لملاجهم ، لذلك لم اقدم على هذا الامر لانني كنت اخشى ان اقبل بذات الجزاء بدلا من الثواب ، وافقد حريتي ، ولذلك شكرت التاجر على عطفه ورقته ، ولولا هذا الامر لاخلدت بنصيحته على الرغم من عدم وجود صيديات يمكن التزود منها بالادوية .

علما انني استطعت ان اشترى بعض المواد من اصحاب الحوانيت حيث جمعتها من اماكن

(٤١) « غوا » اول مدينة احتلها الفظة البرتغاليون في الهند ولي الشرق ما حين وصلوا اليها سنة ١٤٩٩ م . بقيادة فاسكودي غاما . وبقيت غوا مستعمرة برتغالية طيلة الاحتلال الانكليزي للهند ولم تستمها الهند الا في سنة ١٩٦٢ .

متعددة ، لانه كان يصعب علي ان اجد لها لديهم متوفرة في وقت واحد . كذلك استقطرت الزيوت من الجوز ، وهو نوع جيد ومتوفر بكثرة ، ومن الفستق الذي يحتفظ به السكان وبالكونه مثلما نأكل نحن الانواع الصغيرة من الجوز في بلادنا .

* *

ظلت انتظر كل يوم وجود جماعة ارحل معها الى حلب بالطريق الذي يمر بعدد من المدن وليس بالطرق التي تصل اليها راسا عبر الغياقي والقفار .

ولقد تفحصت امتعتي جيدا ، ونصحتي صديقي المسيحي الذي اشرت اليه قبلا ان من المناسب لي ان اسافر مع ثلاثة من اليهود الى حلب كان احدهم قد وفد معي في نهر الفرات بينما اقبل الاثنان الاخران من « هرمز » وقد قرر الثلاثة ان يبدأوا السفر الى حلب فقبلت بمرافقتهم لانني لم اجد غيرهم يقصدون تلك الجهة .

بدانا مسيرتنا في اليوم السادس عشر من شهر كانون الاول متجهين نحو كركوك التي تبعد مسيرة ستة ايام وتقع عند حدود « ماضي » ! وقد اتخذنا طريقنا في الطرف الثاني من نهر دجلة الذي يسمونه « حدقول » (٤٢) .

واصل راوولف سفره من بغداد الى كركوك ومنها الى الموصل ثم غادرها الى ديار بكر ونصيبين ومنها عاد الى مدينة حلب مرة اخرى . وبعد ان انهى اعماله هناك ارتد الى لبنان ومنها الى فلسطين ثم ركب البحر من هناك عائدا الى بلاده .

(٤٢) حدقول Hidekol هو الاسم الذي عرف به نهر دجلة في التوراة . اما في المونيات البابلية والاشورية فقد عرف نهر دجلة باسم « تلات ودقلا » ثم حرف الى « اتفرا » و « تايفرس »